الضحكة المبكية

يحكي بديع الزمان: كنت جالساً قربَ نافذةِ السجن في مدينة اسكي شهير، وكان مقابلَ السجن مدرسةٌ ثانويةٌ للبنات، وكانت الفتيات يتراقصن ضاحكات في ساحة المدرسة، ورأيت أنَّ بدل هذه الجنَّة الكاذبة التي يعيشون بها رأيت حرَّ جهنَّم، ورأيتُ كيف ستكون الحال بعد خمسين سنة، ورأيتُ كما لو أنَّ شريطاً يُعرَضُ أمامي.

كيف ستكون حال هؤلاء الفتيات؟ ستصير سعادتُه من وضحكاتُهن بكاءً ودموعاً، خمسونَ فتاةٍ من «الستين» دُفنَّ في التراب ويعانين من العذاب الشديد، فيما العشرة الباقية أصبحن متقدماتٍ بالسن، وقد أَفَلَ الجمال وانضوى الصِّبَا.

كنَّ يحقدن ويكرهن الأشخاص الذين كانوا سبباً في حياتهن التي عشنها هكذا، وقد يكون منهن من رأى

نهايتها التي ستكون على هذا الشكل، حقاً لقد بكيتُ حزناً عليهن كثيراً.

من يدري.. ربَّما لو فكَّر الإنسان كيف ستكون حالهن بعد خمسين أو ستين سنةً لجلس منذ الآن يبكي.

ولا يكفي للنجاة من العاقبة الوخيمة أنْ نتناساها، بل يجب التحضير لها منذ الآن.